

## إِلَيْهَا (١)

كانت هناك عشرات الأفكار في ذهني عندما قرأتُ أولى أبياتها، لم يكن ضمن تلك الأفكار أنني سأكتب بسببها عشرات القصائد والرسائل، وستكون شغلي الشاغل في ثلاث سنواتٍ متتالية.

وحيثما أدركتُ أنني قد دخلتُ حلقةً مفرغةً من التنكر لتلك المشاعر الغريبة، وأدركتُ أنني في ورطةٍ حقيقية، قامت الدنيا تتلاطمني بين الجُبْن والشجاعة، بين أن أقف خائفًا على تلك الحافةِ الخطرة، وبين أن أمتطي ما يمكنني الطيران به؛ لاستكشاف ذلك العمق الخطير!

لقد كانت المشاعر عجيبة حدَّ الإنكار، وجميلة حدَّ التعلق، وبائسة حدَّ العجز. لم يكن هناك سلاحٌ أسهل من تكذيب كل ذلك ونعته بالحلم غير المرئي، أو النزوة العابرة؛ والواقع أنه كان حُبًّا مكتمل الأركان إلا أنني كنتُ جاهلاً بصفاته آنذاك...

"حينما أبصرتُ شرارة الحُبِّ لِأَوَّلِ مرّةٍ قلتُ أنها نزوةٌ عابرةٌ ولا يمكنُ أن تكونَ حُبًّا؛ ها أنا أحترقُ عشقًا من ذلك الإهمال!"

كان الحُبُّ يُشبهه النزوة، ولكنّه أعقد منها، ويشبهه الحلم ولكنّه مليء بالواقعية، ويقرب لئن يكون اختناقًا، ولكنَّ أنفاسه لا تتوقف. إن الحُبَّ يشابه كل ذلك ولكنه ليس شيئًا من ذلك، إنه باختصار ورطة لا يمكن الخروج منها، أو معرفة كنهها إلا بالاستجابة؛ ولذلك قررتُ أن أستجيب لنداء القلب.

اعتقدتُ أن الحب كغيره من المشكلات التي تواجهنا في الحياة، ينبغي أن تُواجه ويتصالح المرء معها؛ لتجاوزها، لكنّه للأسف لم يكن كذلك، فإن كل خطوةٍ نحوه تكاد تكون تراجعًا لا يمكن تفسيره، وكل تجاوبٍ معه زيادةٌ في تكاليف باهضة لا تملك القدرة عليها. إن الحُبَّ تسديدٌ لفواتير استهلاك القلب!

كل خطوةٍ بثمن، وثمن الحب ليس كغيره من الأثمان، ثمنه استنزافٌ للمعنى الذي تشعر به في حياتك، امتصاصٌ لأخر قطرةٍ كنتَ تنسدها للنجاة من صحرائك، استهلاكٌ للروح يفقدك كُنْهها ويشير إلى أشياء تشبهها لتعيشَ بها بسرابٍ متجدد...

"من هنا علمت، أن الحب ليس إلا ورطة، وحلقة مفرغة لا يمكن النجاة

منها بحال".

الحب يبدو لمن يطلبه لذاته مختلفًا عمّن يطلب بغية الإحساس به وتلمّس المشاعر فيه، كما أنه يكون مختلفًا عمّن يربط شعوره تجاه الحب بشعوره تجاه المحبوب.

كلُّ هذه التصورات مختلفة عن بعضها، فالأول يرى الحُبَّ سُقْمًا لا شفاء منه، والثاني يراه دواءً كُلِّ سُقْمٍ، والثالث يتنقل بين عدوبته وعذابه. وبين كلِّ هذه التصورات المتباينة رابطٌ دقيق، هو أن جميع من في هذه الاتجاهات لا يملكون الخلاص؛ لذلك فـ"الحب ورطة" وكفى بهذه الجملة بيان لحقيقته.

هذا ما حصل تحديداً، عندما شرعت في كتابة أول رسالة حبِّ حقيقية بعد عشرات المكاتيب الوهمية التي كنت أكتبها ولا أرسلها. حصل أن توجّهتُ إليها بالمكتوب، وانقطعتُ ثلاثة أيام عن الاتصال حينها وتأخر الرد، أو بدا لي أنه تأخر! عشتُ أثناء ذلك في جحيم التساؤلات، إلى أن جاء الرد، لقد جاء باردًا جدًّا، برودًا عجيبيًا لم يزدني إلا اشتعالًا واحتراقًا!

لم أكن سوى متسوّلٍ لاستجابة الحُب في حقيقة الأمر، لقد كنتُ واقفًا وحدي في تلك الضيقة، ولم يكن هناك من يقف في ضيقةٍ أخرى ولو سرابًا، هذه الحقيقة المرّة، أما الحقيقة الأشدُّ مرارةً منها أنني لم أستطع الفكّك من كل ذلك، لقد تورّطتُ لدرجة أنني لم أستطع التوقف عن الكتابة في ذلك، حتى هذه اللحظة...